الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

ميدان اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

موضـــوع البحر في الأدب العربي

رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا (نموذجا)

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص الأدب العربي

إعداد الطالبتين:
لمزري زينب
مجوب رانية

إشراف الأستاذة:
بوقدح سعيدة

السنة الجامعية:2010 - 2011

مقدمة

مقدمـــــــــــة :

إن الأدب رسالة حضارية موجهة إلى الإنسانية جمعاء في أقطار الأرض المتباينة وفي العصور المختلفة ،فالخلود كتب للأدب والفلسفة وحدهما ،بمعزل عن العلوم الأخرى ،لأن الدهر لا يستطيع التأثير فيها ،فالأدب الراقي هو الذي يحمل رسالة إنسانية ،حيث جميع الأدباء الذين خلدت أسماؤهم في سجل الأدب هم الذين استطاعوا أن يقنعوا الإنسانية بقيمة ما دونوه ،وبقيمة ما كتبوه للأجيال المتعاقبة عبر الزمان والمكان معا.وهذا ما جعل أدب شكسبير و دالتون و ابن المقفع و الجاحظ وجبران والرافعي وغيرهم ،لا يزال يتداول ويقرأ حتى يومنا هذا.

إن الأدب مرآة عاكسة للحياة ،فهو يهتم بتصوير مظاهر الحياة المختلفة ،فهو يتناول ظاهرة اجتماعية ،في زمن من الأزمان ويحاول أن يجد الحلول للمشاكل التي يعاني منها المجتمع،ومنه فالأديب هو لسان المجتمع فهذا الأخير هو الذي يستمد منه الأديب شاعريته وإلهامه ،حيث يمده بالطاقة لكتاباته .لذلك يمكننا القول أن الأدب مؤسسة اجتماعية،أداته اللغة التي هي مستمدة من المجتمع .

أما الآن فسننتقل إلى موضوع بحثنا الذي يكمن في موضوعة البحر وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع- أنا وزميلتي – لأنه من المواضيع الجديدة غير مستهلكة ،فأردنا أن نقدم شيئا جديدا ،تستفيد منه الأجيال القادمة ،ومن المنطق أن تواجهنا عدة صعوبات ،وهذا لقلة متناولي هذا الموضوع ،فلقد اجتاحنا تيار من الخوف في البداية ،فأي شيء جديد يكون مبهما غامضا مقلقا ،لكننا لم نستسلم و لم نرضخ لهذه المخاوف والصعوبات ،وعقدنا العزم على خوض هذه المغامرة .

وبفضل الله وعونه وبعد أن تزودنا بكم كاف من المعرفة والعلم بدأنا رحلتنا وفي الحقيقة لولا وقوف قائدتنا والأستاذة القديرة "سعيدة بوقدح "إلى جانبنا لما تمت هذه الرحلة ،حيث قدمت لنا العون والدعم في كل خطوة خطوناها ،إذ لم تبخل علينا بشئ.وفي الجانب التطبيقي اخترنا تسليط الضوء على روائي فلسطيني هو جبرا إبراهيم جبرا ،فبالرغم من أن حنا مينا هو رائد أدب البحر العربي ،إلا أننا ارتأينا التطبيق على "السفينة" لجبرا إبراهيم جبرا ، حتى نشير إلى أن أدب البحر لم يعد حكرا على عدد من الأدباء بل أصبح يطرق من قبل باقي الأدباء ،حتى وإن لم يتخصصوا في أدب البحر وهذا حال جبرا إبراهيم جبرا .

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج السميائي بالدرجة الأولى لأنه الأنسب لدراسة عناصر الرواية ،ولكي نجمع المادة الأولية اعتمدنا مرجعين رئيسيين هما مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي"موضوعة البحر بين(الشيخ والبحر)و(الشراع والعاصفة)"سعيدة بوقدح ونورة بيرة /2000-2001 ،وكذلك كتاب "أدب البحر" لأحمد محمد عطية ،بالإضافة إلى مراجع اخرى متنوعة .

و لإعداد أي دراسة لابد من وضع خطة تضبط خطوات ومراحل إعداد البحث،ولقد كانت خطتنا كالأتي :

بدأنا بمدخل تحدثنا فيه عن جمالية فضاء البحر في الرواية،والقيمة الفنية التي يقدمها للرواية بصفة خاصة،و الأدب بصفة عامة .

ثم بعد ذلك قسمنا بحثنا إلى فصلين ،فصل نظري يحتوي المعلومات المختلفة عن أدب البحر عند كل من العرب والغرب وحاولنا إبراز أهم أوجه التداخل بينهما .

أما الفصل الثاني فكان تطبيق على رواية عربية اتخذت من البحر فضاءا لإحداثها ولقد بينا في هذا الفصل كيف يكون للفضاء البحري دور في البنية الفنية للرواية إذ يتحكم في أحداثها ،لنختم بحوصلة لأهم ما قدمه لنا هذا البحث .ونرجو من الله التوفيق ،وتحقيق الهدف والغاية المرجوة من بحثنا ،الذي لاشك سيخرج الطلبة من دائرة المواضيع المستهلكة والجاهزة.

مدخل

جمالية فضاء البحر في الرواية

توطئـــــــــــــــة

المكان هذا المصطلح المتشعب في المعاني والمتعدد في الدلالات شغل مكانة هامة في الدراسات. وكان مادة خام لها لذلك أولاه النقاد حيزا كبيرا في كتاباتهم،ولا يمكن آن نعتبر المكان الأدبي هو نفسه المكان الجغرافي ،فهذا الأخير تضبط حدوده أبعاد ،وقياسات دقيقة في حين الأول –المكان الأدبي– يتشكل في العملية الإبداعية استجابة لما يمر به الأديب من تجربة ويكون إما في اللحظة الآنية متجسدا بتفاصيله ومعالمه ،وإما يكون تخيليا يفد إلى مخيال الأديب بملامحه وظلاله"انه الرحم الذي يتفاعل فيه الفرد الاجتماعي بكيانه ووجدانه"[1]

لقد احتضن السرد العربي الأمكنة بأنواعها ،وذلك لأن لها قوة غيبية تجعلها تفرض سطوتها على الإنسان ،وتسيطر على ممارساته .مما دفع بهذا الإنسان إلى العمل على السيطرة عليها بغية تعزيز سلطته ونفوذه ،ولكن مشروع حيازة الأمكنة هذا امتد إلى ابعد من مجرد امتلاكها،بل إلى إنتاج ذاكرة ثقافية حولها.

فالإنسان يؤرخ للأمكنة سرديا حتى يبرز حضوره،ويؤكد على إن الأمكنة تصبح "علامات سيميائية تنطق بخطابات الإنسان ودوافعه وهواجسه الفكرية"[2]

فالأمكنة في الحقيقة هي عبارة عن رموز تعبيرية يختارها الروائي من منطلق فني نابع من نفسيته ،فالمكان أو الفضاء الروائي "ليس ظرفا خاويا لا لون له إلا ما يلونه ساكنه أو المار به"[3]

بل انه يسعى إلى اكتشاف الأزمة التي تؤرق الإنسان في محاولة إلى إيجاد أو لنقل استعادة الذات ،فالمكان ذو نكهة خاصة تترك في الأديب اثر وإحساس متميز يدفعه إلى الإبداع كلما لامس ولو جزءا من هذا المكان.

إن الأمكنة التي أغوت الأدباء كثيرة متنوعة ،وكان الفضاء البحري اختيارنا لأن البحر عالم واسع ساحر وهو يغدو بوسعه أللامتناهي والممتد بمثابة الرفاه الروحي من كل القلق والتوترات الأرضية ،فلطالما خاطبنا البحر شاكين همومنا

1- باديس فوغالي " الزمان و المكان في الشعر الجاهلي " عالم الكتب الحديث ، الطبعة الأولى 1429-2008 ص 181

2- د.هيثم السرحان "الأنظمة السيميائية " دار الكتاب الجديد الطبعة الأولى أدار مارس ربيع 2008 ،أفريجي ص71

3- صابر الحباشة نقلا عن موقع نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي

راسمين فيه أحلامنا التي نأمل أن ينقلها إلى الضفة الأخرى البعيدة عنا .

إن البحر من الأفضية الخصبة التي استهوت الروايات ،وذلك لما يتمتع به من مجهولية وقوة خفية فاتنة .

ينجذب إليها الإنسان المتعطش للمغامرة والمقامرة أمثال:-السندباد واوليس-الذي يجد في البحر ملاذه الأمثل لأن البحر جميل مليء بالمعجزات والقدرات الإلهية،باختلاف أنواعها و مستوياتها، إنه عالم الضديات ،عالم مليء بالتناقضات .

البحر يمثل الصراع بين وجهين مختلفين: صراع الإنسان مع الطبيعة، صراع الخير و الشر.كما أنه محور الصراع النفسي بين الموجب و السالب في العالم الخارجي للإنسان و الداخلي أيضا (الذات) ،لا يمكننا أن نحكم على أن البحر هو منبع الاسترزاق للإنسان أو مكان للترويح عن النفس و المتعة فقط ،بل إنه يشكل مصدرا للإلهام بالنسبة للعديد من الأدباء و الشعراء ،مما جعله من الأمكنة التي داعبت خيال الأدباء فتسابقوا لتجسيده في رواياتهم الخالدة خلود البحر .

إن البحر من الأمكنة المفتوحة التي تجعل الأديب حرا طليقا قادرا على الإبداع ،لا تحده الحدود ولا تحاصره القيود ليطلق العنان لمكبوتاته المختبئة في اللاوعي ،فينفلت بذلك من مراقبة الوعي " فالمكان أكثر من منظر طبيعي ،إنه حالة نفسية "[1] ومن هذا المنطلق نجد البحر استطاع أن يفرض كلمته في اللغة الشاعرة محتفلا بجمالياته المكانية المعبأة بالآثار النفسية له :من الغموض و الرحيل و الاحتواء ،التعري و الانحصار...الخ.

هذه الآثار النفسية التي تتجرعها الروايات – التي جعلت البحر فضاءا لموضوعاتها – هي الجمال الفني الحقيقي الذي يميز هذه الروايات عن غيرها،فهي أدب يدفعنا إلى أن نكشف ذواتنا إزاء العالم الواقعي ،وهي كذلك نوع من الأدب حررنا من الوظائف القاهرة و منحنا وظيفة توقظ الكائن الآخر فينا،فمثلا في الكتابة المسرحية الدرامية لشكسبير تكون استعارة البحر فيها استعارة ضمنية،تتضح في اللاتوازن الذي تعرفه الطبيعة قبل أن تعرفه النفس البشرية " وتعتبر كل الصور البلاغية في مسرح شكسبير صور بلاغية مستمدة من البحر "[2]. لأن البحر هو الفضاء المثالي الذي تحن الذات إليه و تنجذب إليه لترحل في عوالمه و تصغي إليه،لربما يتصدق عليها بشيء من أسراره الكثيرة.

1- جاستون باشلار كتاب "الزمانكانية و بنية الشعر المعاصر"حنان محمد موسى حمودة عالم الكتب الحديث الأردن الطبعة1 -2006ص22

2- سالم أكوندي من مجلة أفق الثقافية ندوة الكتابة و البحر 1 تشرين الأول "أكتوبر"2003، http: www.ofouq.com

إن الشيء الذي يدفع الروائي إلى اتخاذ البحر فضاءا لرواياته هو أنه عالم تتحقق فيه الرغبات،وتستباح اللذات فيجد الروائي نفسه في حرية تامة خالية من القيود ،وهذه الحرية هي التي تدفعه للإبداع في أقصى حدوده،وهذا يساعده على بناء المعنى و عرض موقف شخصيات عمله من هذا العمل،الذي يعتبره الكثير من الأدباء مصدرا لإلهامهم وهو حال حنا مينة الروائي السوري الذي احتفى بالبحر جاعلا منه فضاءه الروائي بامتياز، حيث اعترف بأن البحر كان مصدر إلهامه لذلك جاءت أعماله مبللة بمياه موجه الصاخب كما قال.

إن موضوع البحر من المواضيع التي تجسد و تعبر عن عصرنا ،ولعلنا لانبالغ إذا قلنا إن مياه البحر هي دماء هذا العصر وصوت أمواجه هو دقات قلب هذا العصر.ففي الحقيقة لقد سئمنا من تلك المواضيع المستهلكة والتي لاتمت بصلة لهذا العصر ،فكل هدفها هو دفع أدب يستهلك كما يستهلك الخبز ،أدب لايخدم عصره فما بال أولئك الأدباء ذهبوا إلى تصوير الصحاري والحديث عن الجمال والخيول وكأننا لانزال نعيش عصر الجاهلية.إن الأجدر بهم الحديث عن الحياة المعاصرة ،وتصوير طبيعتنا الحالية التي تكون أقرب إلى نفوسنا ،فنحن بحاجة إلى أدب "يضع يده على موضع الألم لتتجلى خبايا الأمور "[1] ولا سبيل لنا في هذا سوى أدب البحر إن أدب البحر الذي هو أدب هام يشكل جزءا أساسيا من تراث البشرية وحضارتها دون شك قد بلغ رسالة الأدب السامية الرفيعة المتمثلة في الجمع بين العذوبة والفائدة ،ورغم ما أسلفنا ذكره من جماليات فنية لهذا الفضاء إلا أنه لم ينل نصيبه من الاهتمام في أدبنا العربي حتى يومنا هذا .

1- سعيدة بوقدوح ،نورة بيرة،بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي موضوعة البحرين "الشيخ و البحر "" و الشراع و العاصفة "
- جامعة باجي مختار – عنابة-2000 – 2001 ص3 .

الفصل الأول" أدب البحر"

1/ أدب البحر عنـــــد الغـــــــرب

2/ أدب البحر عنـــــد العـــــــرب

3/ أوجه التداخل في أدب البحـــــــر

لدى العرب و الغرب

أدب العرب عند الغرب

لقد كان الغرب أكثر الشعوب احتكاكا بالبحر بحكم موقعهم الجغرافي الذي تحيط به المحيطات من كل الجوانب حيث اهتموا بصناعة السفن لنقل تجارتهم وإنشاء الأساطيل البحرية التي ساعدتهم في حروبهم على مر العصور.إن هذا التعامل اليومي بين البحر والفرد الغربي وطد العلاقة بينهما ،فالفرد الغربي بنظر إلى البحر باعتباره عالم جديد ،خال من القيود فيه يتخلصون من رتابة الحياة،فهو كما يقول احمد محمد عطية "بمثابة المضياف الذي يقدم لكل مغامر وطالب لحياة جديدة حافلة بالمغامرات والأسرار حياة لا محدودة"[1].

ثم إن هذا التقارب بين الغرب والبحر ،جعل هذا الأخير يتمثل في أدبهم شعرا أو نثرا بصورة مكثفة ،فأدب البحر الغربي يعود إلى عهد اليونان مع شاعرها الأكبر هوميروس في ملحمته الأوديسا.التي تحكي عودة أوديسيوس إلى اليونان ولقائه بزوجته بنيلوب بعد مغامرات عسيرة في البحار وصراعات مع الآلهة، وقد كتبها في12000 بيت ، لتكون الأوديسا أولى الكتابات التي تناولت البحر كموضوع لها.

لقد تعددت الرحلات الغربية التي عبرت البحار ،ليظهر نوع جديد من الأدب يطلق عليه أدب الرحلات، هذا الأدب الذي يحتوي العديد من المعلومات والحقائق عن البحر ،شكل بذلك جانب مهم من أدب البحر عند الغرب ،إذ هو الأساس الذي تنطلق منه الروايات البحرية في هذا العصر .وتعتبر رحلات ماركو بولو النموذج الأمثل للرحالة في تاريخ و أدب الرحلات ،لهذا يوصف ماركو بولو "بأنه خلق آسيا خلقا للعقل الأوربي "[2]

كذلك اعتبر جون ميسفيلن كتابه الرائد في أدب الرحلات بأنه أعظم كتب الرحلات الذي لايزال المرجع الرئيسي فيما يتعلق بأجزاء من آسيا الوسطى والإمبراطورية الصينية المترامية الأطراف .

إن أدب ماركو بولو كان غنيا بالعديد من الأساطير و المغامرات نتيجة إطلاعه على العديد من الثقافات كثقافة التتار مثلا هذا ما قدم للأدب الغربي كما هائلا من المعلومات تجلى بكل وضوح في الرواية الغربية .فهذا الجمع بين الشاعرية ودقة العلم والبراعة في تشكيل الصور الأدبية أعطى لهذه الرحلات المركوبولية حق ريادة أدب الرحلات البحرية

1- أحمد محمد عطية " أدب البحر"،دار المعارف –مكتبة الدراسات الأدبية 1997 ص170

2- م . ن . ص170

الغربية .أما في القرن 18 فقد بدأ الروائيون بتوظيف موضوع البحر على يد هرمان ملفل مبدع ملحمة "موبي ديك" وهو كاتب أمريكي أثرى الأدب الأمريكي الكلاسيكي بمؤلفاته الرائدة .

لقد تقلب هرمان ميلفل في العديد من المهن إذ عمل صيادا و بحارا،وقام برحلات بحرية متعددة زار خلالها العديد من الأماكن منها ميناء يزيد فورد مثلا.وقد وصفه بإسهاب في الفصول الأولى لموبي ديك،بعدما قام هيرمان ميلفل بتحضير نفسه بالعلم و المعرفة و الإطلاع ليتفرغ في النهاية إلى كتابة كتابه موبي ديك " التي عايش موضوعها مع البحر و الصيادين و الحيتان ،و خبره بعمق فقدم عملا روائيا ثريا فدا لم يكتب مثله قط في أدب البحر حتى اليوم "[1] . وكان ميلفل موضع اهتمام العديد من النقاد و المهتمين بالعالم الروائي فمثلا برناردو قال عن كتابه :منذ عرف الإنسان كيف يكتب لم يوجد قط كتاب مثل هذا،وعقل الإنسان أضعف من أن ينتج كتابا مثله،وإني أضع مؤلفه في مصفات مؤلفات رابله و سويفت وشكسبير .

إن هذه الرواية أحسن ما يقال عنها أنها جاءت أشبه بحلقة معارف عن البحر و الحيتان فهي موسوعة علمية،إذ كثيرا ما يتوقف ميلفل عن سرد رواياته حاشيا إياها بمعلومات كثيرة عن تاريخ صيد الحيتان و أجناسها،و طرائق صيدها ما أعاب روايته إذ أصابها في شكلها،بيد أن هذا كان شأن روايات أدب البحر في القرن التاسع عشر،حيث تكون مشبعة بالتفاصيل.

إن أهم ما قدمته هذه الرواية هو كشفها عالم البحر و كذلك اختراقها عالم الحيتان،إذ ذكر مهنة جديدة هي مهنة صيد الحيتان إنها كما يقول عنها أحمد محمد عطية "ملحمة البحر" فلقد قدمت هذه الرواية للإنسانية المعرفة و المتعة في الوقت نفسه،فميلفل يؤكد ضرورة الفن و عذوبته في آن واحد .والجدير بالذكر أن روايته "موبي ديك "كشفت عن مدى تأثره بالثقافة العربية وتعاليم الإسلام النبيلة السميحة،إذ جاء فيها ذكر للصلاة و الدعاء وكذلك الآذان و غيرها من عبادات الدين الإسلامي .

1- أحمد محمد عطية أدب البحر ص179

وفي القرن العشرين ظهر أديب رائع متمكن من أدب البحر هو آرنست هيمنغواي(1899-1961) صاحب "العجوز و البحر " وهو الآخر أديب أمريكي وتعتبر هذه الرواية هي ثاني أعظم رواية في أدب البحر بعد رواية" موبي ديك" .لقد تميزت رواية هيمنغواي بخبرات واقعية بعالم البحر و الصيد التي وصفها هيمنغواي قائلا " لقد حاولت أن أصنع رجلا حقيقيا،وغلاما حقيقيا وبحرا حقيقيا و سمكة حقيقية و أسماك قرش حقيقية "[1] .

وقد كان هيمنغواي على قناعة بأن قوة الإنسان تفوق قوة الطبيعة إذ يقول :"الإنسان يمكن هزيمته،لكن لا يمكن قهره"إن رواية "العجوز و البحر "لا تتعدى عشر حجم رواية "موبي ديك"،وهذا نتيجة إختلاف الروائيين- آرنست هيمنغواي وهرمان ميلفل – في المنهج المعماري المتبع بسبب تباعد الفترة الزمنية بينهما. فميلفل حتى يدخل في موضوع روايته كتب العديد من الصفحات كتمهيد عكس هيمنغواي دخل في الموضوع مباشرة واصفا قوة و إصرار سانتياغو العجوز في الصفحات الأولى من روايته.

ولقد جاءت روايته جامعة بين الأحداث الماضية و الحاضرة كذلك شملت وصف الأماكن العديدة للبحر و توحي هذه الرواية بخبرة هيمنغواي بعالم البحر و صيد الحيتان،إن هيمنغواي يبتعد عن السرد في روايته إذا أراد سرد شيء فإنه يأتي على لسان بطل روايته سنتياغو،و القارئ للرواية يجد أنها لا تنتهي بإنتصار سنتياغو على السمكة الكبيرة بل يدخل في صراع مع أسماك القرش،ورغم هزيمته في الجولة الأخيرة إلا أنه لم يهلك و لم يقهر

وهذا هو المغزى من الرواية التي تؤكد نظرة هيمنغواي للطبيعة التي قد تهزم الإنسان ولكنها لاتقهره.

1- أدب البحر محمد أحمد عطية ص 194

أدب البحر عند العرب

توطئـــــــــــــــة:

بالرغم من أن الغرب كانوا الأسبق إلى الاحتكاك بالبحر ،إلا أن العرب سرعان ما احتكوا به كذلك .متعاملين معه بتجسيده في رواياتهم التي أغنوها بالكثير من المعلومات البحرية خاصة في بداية نشأتها –الرواية العربية –و لم يقتصر هذا العالم البحري على النثر فقط بل كان لشعر حظه هو الأخر منه.

والسؤال الذي يطرح نفسه :متى بدأت قصة العرب والبحر ؟ وكيف تعاملوا معه ؟

إن هذا السؤال صعب و الإجابة عليه تتطلب الكثير من الدقة .

نجد الكثير من الغربيين من فندوا تعامل العرب مع البحر ،وكانت حجتهم في ذلك أن البحر لم يستهو العرب مشارقه أو مغاربة "حيث نفروا التعامل معه و هابوه ولا يركبونه إلا مكرهيه"[1]

مستشهدين في ذلك بما رماه لنا التاريخ من حقائق اتخذوها حجة لأرائهم، ومنها ما جاء عن عمر بن الخطاب حينما فتح مصر،فراسل عمر بن العاص قال له :"صف البحر " ،فرد عليه عمر بن العاص "إن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود"[2] . فعزم عمر بن الخطاب على منع المسلمين من ركوبه ،كما اعتبروا قول السلطان العلوي مولاي إسماعيل(1672ه-1727م) حجة لرأيهم حيث قال السلطان العلوي مولاي إسماعيل "والله لو كان العرب أناسا يقاتلون بحرا ويركبون السفن لما تركنا قرصانا واحدا من الإنجليز يعبر مضيق جبل طارق ،ولكن العرب لا يعرفون سوى ظهور خيلهم"[3] . لقد أسرف هؤلاء الغربيين حينما ذهبوا إلى إن العرب خلدوا المعارك بين القبائل وتحدثوا عن الجمال في البيداء ،فهم في نظرهم أصحاب خيل وماشية همهم الوحيد البحث عن الزرع والكلأ متحدين مخاطر الصحاري من كثبان محرقة وسموم الحر والزوابع متناسين ما عرفه التاريخ من أبطال وغزوات كبرى احتضنها هذا المتسع-البحر – كل هذا ما هو إلا

1- د. مولاي بلحمسي .البحر و العرب في التاريخ و الأدب منشورات ANEP طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية –وحدة رعاية-2005 – ص3

1- م . ن . ص5

2- م . ن . ص5

مغالطات في حق تاريخ العرب والبحر.إن العرب تأقلموا بسرعة مع البحر ،وشقوا عبابه واستغلوا كنوزه فالقرآن والحديث والرحلات شرقا وغربا هي خير برهان على عدم صحة ما قاله الغربيون ،إن علاقة العرب بالبحر علاقة وطيدة وحتى نبرزها لابد أن نتطرق إلى كل من :التاريخ البحري للعرب ،قصص التجار العرب ،المرشدات البحرية ،أدب الرحلات البحرية ،وأخيرا البحر في الرواية العربية الحديثة.

*التاريخ البحري للعـــــــــــرب:

لقد تعرف العرب المقيمون باليمن وحضر موت والبحرين على البحر فتعلموا الصيد وبرعوا في الملاحة ،حيث سخروا سفنهم لعبور البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج العربي .

فهذه الطبيعة البحرية المحيطة بهم هي التي دفعتهم إلى اتخاذ البحر جسرا لتجارتهم ،حيث كان تجار الشمال يقودون قافلة التجارة البرية أما سكان الجنوب من اليمن وحضر موت والخليج عامة فكانوا ينقلون تجارة الهند وإفريقيا من خلال المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي إلى الشام والعراق ،وأثناء تلك الفترة تمكن العرب من التعرف على نوع من الرياح يساعدهم في تجارتهم تدعى "الدو" وهذا ما مكنهم من القيام برحلتين في السنة تكون أقل مجهود ،حيث في فصل الخريف تدفع هذه الرياح السفن في اتجاه معاكس يساعدها على العودة إلى قواعدها الموجودة في سواحل الجزيرة العربية .ولقد كانوا هم السباقون لاكتشاف هذه الرياح الموسمية على عكس الغرب الذين لم يكتشفوا سر الملاحة الموسمية .

بالإضافة إلى هذا اخترع العرب الشراع المثلث للسفينة الذي ساعد سفنهم على الإبحار في الريح العاصفة فاعتمدوه في المحيط الهندي والبحر الأحمر . ولقد نسب الغربيون فضل نقل هذا الاختراع للعرب .

كانت هذه بعض الاكتشافات البحرية التي قدمها العرب للبشرية ولما جاء الإسلام عزز من مكانة البحر وأهميته لدى العرب ،فقد حثهم على نشر دينهم وتعاليمهم في كل البقاع فكان البحر بذلك معبر لهم.إن هذه الفتوحات الإسلامية ساعدت على "انتشار العرب في البحار والمحيطات وإنشائهم للسفن والأساطيل الحربية والتجارية وازدهار الجاليات العربية في الشواطئ الشرقية والغربية على السواء"[1].

وكان ظهور أسطول عربي في البحر الأبيض المتوسط في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ،إذ كان مطلبا شرعيا لحماية شواطئ الشام ومصر ،بيد أن الانطلاق الفعلي للأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط كان في العهد الأموي ،ففي هذا العهد انتشرت الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط .

1- أحمد محمد عطية – أدب البحر –

ومن المعارك التي خاضها هذا الأسطول معركة الصواري بين العرب والبيزنطيين التي انتهت لصالح العرب ،ولقد سميت بهذا الاسم لكثرة الصواري المرتفعة على سفن الأسطولين العربي والبيزنطي،

بالإضافة إلى معركة دارت بين الأسطول العربي والرومي 232هجرية حقق فيها العرب كذلك انتصارا وقد صور البحتري هذه المعركة في قصيدة له ،نعتبرها أنموذجا لأدب البحر العربي نورد منها هذه الأبيات:

غدوت على الميمون صبحا وإنما

غدا الموكب الميمون تحت المظفر

إذا زمجر النوبي فوق علاته

رأيت خطيبا ذوائبه منبر

إلى إن يقول :

يسوقون أسطولا كان السفينة

سحائب صيف من جهام وممطر[1]

وهذه القصيدة خير دليل على أنه كان للأساطيل العربية وجودا مؤثر في البحر الأبيض المتوسط ،وقد قام العرب بالعديد من الرحلات و الحروب ساعدتهم على بعث الحركة التجارية والعلمية والبحرية التي بلغت أوجها في العصر العباسي .

1-أحمد محمد عطية – ادب البحر – ص 18-19

*** قصص التجار العـــــــــرب :**

لقد ركب التجار العرب البحر منذ القدم ،ولم تكن أعمالهم محصورة في التجارة والتبادل التجاري ،إنما امتدت مهامهم إلى أبعد من ذلك حيث قاموا بمهام ثقافية وعلمية وحضارية "فقد تمرسوا بعالم البحر ورياحه وأمواجه وأقاموا المراكز التجارية والسكانية على السواحل الإفريقية ونقلوا معهم لغتهم ومعارفهم وأثروها بتجارب الشعوب الأخرى ومعارفها أ ،إن اختلاط العرب و تزاوجهم مع القبائل الإفريقية يدل على أن تأثير التجار العرب قد بدأ قبل ظهور الإسلام ،ومع مجيء هذا الأخير تعززت أهميتهم إذ ازدادت رقعة الدولة الإسلامية ،مما زاد من هيبتها وانتشار أسطولها العربي .

إن هؤلاء التجار العرب مزجوا بين التجارة والرحلات ،إذ حققت لهم التجارة الأرباح المالية والمكاسب التجارية وزودتهم الرحلات بالعلوم والمعارف البحرية ،ولقد حملت هذه السفن التجارية العديد من العلماء في علوم الجغرافيا والتاريخ والملاحة البحرية ما ساعد على قيام رحلات علمية ثقافية أنفق عليها هؤلاء التجار من مكاسبهم الشخصية ،ومن أمثلة هؤلاء التجار ياقوت الحموي صاحب "معجم البلدان " ،ابن بطوطة ،المسعودي صاحب "مروج الذهب ".

إن هذه القصص التي نقلها التجار العرب كانت ذات أهمية كبيرة في إثراء أدب البحر ،ومختلف القصص البحرية التي تعج بالمعلومات عن البحار والرياح ،والحكايات الأسطورية والشعبية إذ شكلت هذه القصص مادة خام كتب على أساسها أدب البحر .

في الحقيقة " هؤلاء التجار العرب لم يدونوا مشاهداتهم وقصصهم، بل اكتفوا بنقلها شفهيا "[2]. لذلك لم تكن معروفة العديد من القصص ومذكرات التجار العرب وقد ذكر ذلك المسعودي في كتابه" مروج الذهب ومعادن الجوهر" إذ اكتفى بالحديث عن قصص التاجر أبا زيد الحسن الصيرفي ،الذي هو في الحقيقة ليس تاجرا أو ملاحا بالمعنى الحقيقي للكلمة ،إنما كان أديبا فهو يهوى الكتابة وجمع المعلومات وكان من عشاق البحر ،والتقى في رحلاته عبر

1- أدب البحر – أحمد عطية – ص45

2- أدب البحر – أحمد عطية –ص 47

البحار بالعديد من التجار العرب منهم التاجر ابن سليمان و ابن وهب ،ناقلا عنهم العديد من القصص والحكايات .

وهذه القصص التي نقلها التجار العرب ما تزال أسيرة لدى مكتبة باريس ،بعيدة المنال بالنسبة للقارئ العربي ،ما عدا المجهود العظيم الذي قام به الدكتور حسين فوزي رائد أدب البحر العربي الحديث ،حيث أوصل العديد من قصص التجار العرب من ابن سليمان وابن وهب الموجودة في كتاب الصيرفي .

ونشير هنا إلى أن العديد من المعارف الواردة في هذه القصص سبقت المعرفة الغربية عن كل من البحار والحيوانات وكنوز البحار .ومن أهم المعارف التي قدمتها هذه القصص:العنبر والحوت ،وعن طريقة اصطياد الحيتان ، تصوير بعض الظواهر البحرية وذكر المسافات البحرية ،أنواع السلع التجارية المتعامل بها في ذلك الوقت ،أوقات المد والجزر ،وقد كانت هذه القصص أكثر احتضانا الأسطورة إذ نقل المسعودي العديد من القصص الأسطورة عن التنين مثلا وعن دواب تتكون في قاع البحر ،وغير ذلك من الرؤى الواقعية والأسطورية التي قدمتها هذه القصص،مماثلة في هذا حكايات ألف ليلة وليلة .إن هذه القصص كانت تمهيدا لأدب المرشدات البحرية فهي الجانب العلمي لأدب البحر كما قال أحمد عطية .لذلك لا يمكن إهمالها في دراستنا

خلاصة الحديث أن قصص التجار العرب هي أقدم القصص البحرية فقد مهدت لظهور قصص البحر في" ألف ليلة و ليلة "التي شغل البحر محورها الرئيسي المؤثر في رؤيتها و أحداثها و شخصياتها،كذلك ظهور السندباد أعظم أعمال أدب البحر اكتمالا و تأثيرا في التراث الشعبي العربي و في الأدب العالمي.فهي شكلت أكثر أعمال أدب البحر عبقرية،لذلك نعتبرها النواة الأولى التي شكلت أدب البحر إذا ما استثنينا الأدب الجاهلي الذي يشكل الملامح الأولى لأدب البحر العربي.

*** المرشدات البحرية/ ابن ماجد البحار :**

إذا كانت رحلات السندباد البحري –أهم القصص البحرية- إحدى سلاسل أدب البحر العربي التي تلي قصص التجار العرب البحرية فإن أدب المرشدات البحرية هو التطور اللاحق لأدب البحر العربي باتجاه العلم و الأدب أو الأدب العلمي. وكانت انطلاقة هذه القصص من موانئ الخليج و سيرأف ،عمان و البصرة.إذ جرت الوقائع و التجارب في الخليج و المحيط الهادي و الهندي،البحر الأحمر من الجزر الإفريقية إلى ساحل الصين.

و أدب المرشدات البحرية هو أدب يجمع بين الأهداف العلمية و الأدبية إذ يمزج بين أدب البحر و علم البحر و من أهم مبدعيه أحمد بن ماجد و سليمان المهري ...الخ ومن المصطلحات التي تطلق على هذا النوع من أدب البحر " الراهنامج" التي ذكرها الزبيدي في كتابه" تاج العروس " إذ ينسبها إلى اللغة الفارسية،و أصلها في اللغة الفارسية "راه نامة" ويعني كتاب الطريق فهو الكتاب الذي يسلك به الربابنة البحر و يهتدون به .لم تصلنا من الكتابات الأولى لهذا الأدب – أدب المرشدات البحرية- سوى الترر القليل و الذي جاء هو الآخر مبعثرا متفرقا في كتب المؤرخين و الرحالة و الجغرافيين العرب إذ ترجع نشأته إلى القرن التاسع و العاشر ميلادي في نفس المنطقة التي احتضنت قصص التجار العرب أي بسيراف و عمان .

لقد تحدث ابن ماجد عن ثلاثة من مشاييخ أدب المرشدات البحرية مصنفا نفسه رابعهم وهؤلاء الشيوخ هم :محمد ابن شاذان سهل ابن أبان ،الليث ابن كهلاب هذا الأخير هو من مؤلفي أدب البحر في العصر العباسي في القرن الثاني عشر الميلادي وآثار هؤلاء الشيوخ لا تزال مفقودة مجهولة بالنسبة للقارئ شأنها في ذلك شأن كتب أدب المرشدات البحرية الأخرى التي لم تصلنا منها سوى مؤلفات اثنين من كبار الأدباء في هذا المجال من الأدب في القرنيين الخامس عشر و السادس عشر

هما :ابن ماجد و سليمان المهري التي اكتشفها المستشرق الفرنسي جبريل فيران مخطوطة في مكتبة باريس فصورها و علق عليها و نشرها 1921-1929 .هذا ما تحدث عنه الدكتور أنور عبد العليم في كتابه " ابن ماجد الملاح" إلا أن كراتشكوفسكي يختلف رأيه عن رأي الدكتور أنور عبد العليم فهو يرجع تاريخ اكتشاف هذه المخطوطات إلى عام 1912 ،ويذكر أن الذي أوصل فيران إلى المخطوطين هو المستعرب الفرنسي جود فرواد يموين ،ورغم هذا التباين في تأريخ أدب المرشدات إلا أن الأكيد هو حداثة اكتشاف مؤلفات ابن ماجد و المهري.

وفيما يخص كتابات ابن ماجد فقد جاءت شعرية ماعدا كتابه العظيم" كتاب الفرايد في أصول علم البحر و قواعده" الذي عده المستشرق الفرنسي فيران ذروة التأليف الفلكي الملاحي في عصره ووصف ابن ماجد بأنه أول مؤلف للمرشدات البحرية الحديثة ، ولقد ارتكزت أعماله – ابن ماجد- على أدب البحر وعالم البحر سواء الشعرية أو النثرية و المطلع على هذه الأعمال لا شك يتنبه على " تسلل بعض المفردات العامية و التراكيب العامية في كتابات ابن ماجد وبعض الأخطاء اللغوية و الإملائية "[1] لكن يظل ابن ماجد هو الأديب و البحار الذي أثرى علم البحر،و أدب البحر الاثنين معا ،من خلال العديد من المعلومات و الأخبار و المرشدات و كذلك يبقى رائدة أدب المرشدات البحرية .

لقد جاء المهري بعد ابن ماجد بنحو قرن أي في أوائل القرن السادس عشر،ويعتبر تشكو فيسكي أن معظم مؤلفات هذا البحار النثرية و الشعرية تقليدا لأعمال ابن ماجد إلى حد كبير،وتعكس مؤلفات البحار العربي سليمان المهري خبراته وتجاربه التي صقلها من خلال قيامه بالعديد من الرحلات ،فاكتسب معلومات و معارف عديدة عن ابن ماجد ،و كذلك عن علم البحر و طرق الملاحة و الآلات و الأدوات الملاحية إذ يغلب الطابع العلمي على الأدبي في مؤلفاته .كانت هذه أهم الأعمال في أدب المرشدات البحرية.

1- أحمد محمد عطية – أدب البحر – ص 89

***أدب الرحـــــــــــــلات :**

هو فن هام من فنون أدب البحر العربي ،وذلك نظرا لما يمتلك أدب الرحلات من قيمة علمية و فنية و أدبية ،فمعظم الأعمال الأدبية التي تناولت البحر كموضوع لها نتجت وتكونت بداية من أدب الرحلات البحرية التي قام بها الرحالة العرب قديما ثم دونوا رحلاتهم هذه في مخطوطات .ومن الأسماء التي برعت في هذا الفن المسعودي وهو علي بن الحسين أبو الحسين المسعودي من ذرية الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ،وهو أكثر الجغرافيين أهمية و مكانة في القرن العاشر ميلادي فقد وصف بهيردوث العرب ،وكذلك أنموذج المراسلين الصحفيين العرب ،وهذا لأنه هناك علاقة بين أسلوبه و أسلوب الصحافة الحديثة .من أشهر مؤلفاته "مروج الذهب و معادن الجوهر " المترجم إلى الفرنسية من طرف المسعودي نفسه مع إطلاع بأربيه دي مينار و طبع تسع مجلدات سنة 1872،ثم صدرت ترجمة بالإنجليزية في لندن من طرف سيرنجر 1941م ،ولقد اشتهر المسعودي بصفته أديب وكاتب لا راصد حقائق علمية عن البحر ولا حتى جغرافيا .رغم ما احتوته أعماله من معلومات و حقائق كثيرة و تأريخ دقيق فكراتشكوفيسكي يعتبر أسلوبه يشابه و يقارب أسلوب الجاحظ و ابن فقيه ،مع فارق بسيط هو اعتماده الجدية في كتاباته فهو قصاص ماهر كما وصفه كراتشكوفيسكي .

و المسعودي لا يقوم بنقل ما يصادفه في رحلاته البحرية من معلومات (سواء علمية ،خرافية وأسطورية.....)نقلا مباشرا و فقط ،بل يقوم بنقدها و تحليلها فكان موقفه نقدي في الأغلب مثلما فعل في حكايات أبناء الخليج و السيرافيين و العمانيين و قصص تجار العرب .ويعد المسعودي من الذين أخدوا و استلهموا أفكارهم و معارفهم من قصص التجار العرب- خاصة التاجر سليمان- الأثر العربي الأول الكامل في أدب البحر العربي ،وكان يتميز برؤياه العلمية و شدة إطلاعه الكبير ،كذلك كان ناقدا لسابقيه إذ اعتمد المقارنة وسيلته لهذا .فدقة نقله و روايته وتحليله ،تدفعه إلى تصفية و تنقية مصادره من كل شائبة من شأنها تغليط الفئة التي تتلقى أعماله من بعده.

*** البحر في الرواية العربيـــــــــــــــة :**

الرواية هذا الفن حديث النشأة ظهر أول الأمر بأمريكا ثم سرعان ما انتشر ليشمل العالم كله بما في ذلك العالم العربي، الذي كان في تلك الفترة يطلع على الآداب الغربية حاديا على دربها لتكون الرواية أكثر الفنون النثرية احتضانا للبحر ،وتجسيدا لعالمه ،وحتى أكثر ترسيخا له من الشعر ، فإن كان هذا الأخير لم يصور البحر بالشكل الأمثل ،و لم ينحو ضدياته و أبعاده الأخرى، بل اكتفى بمجرد وصفه و وصف بعض مظاهره .في حين قامت الرواية بعرض مختلف الحالات التي يكون عليها البحر ليس فقط مظهرا و إنما تبعا للحالة النفسية لشخصيات أحداثها ،فتارة يكون معطاء و تارة أخرى غادرا خائنا .كل هذا قامت الرواية بعرضه في بنية سردية رائعة مزجت فيها بين ضديات البحر بشكل جعلها تذوب مع بعضها البعض في نسيج سردي محكم

و بالرغم مما يتمتع به الوطن العربي من شواطئ و سواحل بحرية شاسعة مطلة على المحيط و الخليج لم يصور هذا بالشكل المطلوب في أدب للعالم العربي إلا بعض الروائيين المشهورين بأعمالهم الروائية التي تدور موضوعاتها على البحر،من أشهرهم حنا منية روائي البحر الأول في العالم العربي فبحكم محيطه المتصل بالبحر جعل من البحر عنصرا ضروريا في رواياته و أشهرها "الشراع و العاصفة" بالإضافة إلى بعض الروائيين من مثل صادق النيهوم صاحب رواية "من مكة إلى هنا" وكذلك جبرا إبراهيم جبرا و روايته "السفينة" التي اخترناها نموذجا للتطبيق عليها في بحثنا .

أوجه التشابه بين الأدبين العربي والغربي (موضوعة البحر)

لقد كان الأدب العربي متأثرا بالأدب الغربي منذ العقد الثلاثيني ، فالاتصال مع الغرب أثر بقوة على عدد من الكتاب العرب في السياق الشامل للمثاقفة. حيث أنت تطالع أدب البحر لاشك تستوقفك محطات تلاحظ فيها مدى التوافق في أدب البحر لكل من العرب و الغرب ففي الحقيقة إن اغلب الدراسات أثبتت أن البيئة البحرية شكلت حضورا كبيرا في الرواية العربية و الغربية على حد السواء ،إما في البحر أو أشكاله الأخرى من شواطئ و سواحل و أمواج ،و ما ضمت أعماقه من أسماك و ثروات و ما أعتلى سطحه من سفن و مراكب و قوارب،و ما ارتبط به من مهن إذ لا نكاد نتحدث عن روائي إلا و صادفنا توظيفا واقعيا أو رمزيا لمصطلحات هذه البيئة البحرية بصيغ مختلفة .

إذ نجد كل من الأدبين العربي و الغربي يصف البحر وصفا وجدانيا ،إذ كان البحر عند كل منهما وسيلة لتعبير عن هموم و ألام البشرية و شريكا يتفاعل مع الإنسان في أفراحه و أحزانه ،ونلاحظ أن كلا من هذين الأدبين – الغربي و العربي- يفتخران بالأمجاد البحرية في أدبيهما حيث عمدا إلى إيراد بعض الشخصيات التاريخية التي اثبتت مقدرتها على ركوب البحر. و الأهداف التي دفعتهم إلى ولوج هذا العالم السحري .ومما لا شك فيه أن معظم الأدباء الذين كتبوا عن البحر و عايشوه و احتكوا به بطريقة مباشرة ،إما إشتغلوا على سفنه وإما كان عملهم مرتبطا بصورة مباشرة مع البحارين وبهذا تجتمع لدى الأديب العربي أو الغربي كما كبيرا من المعرفة و الإطلاع على خبايا البحر فالأديب مهما اختلف موقعه الجغرافي أو ثقافته يظل ابن بيئته يتأثر بها و يعبر عنها في أعماله " حيث يشكل البحر عالما مشتركا بين هيمنغواي و حنا مينة إذ لكل منهما ما يشده إلى البحر بصفائه و هدوئه و حتى بثورته وهيجانه " [1]

بالإضافة إلى التشابه في التأثر بالبيئة البحرية في الأدبين العربي و الغربي ،نجد التشابه بين هذين الأدبين يكمن في توظيف البحر كرمز للصراع بين الإنسان و الطبيعة ،فالهاجس الذي يتملك الإنسان منذ القديم بأن للبيئة قوة عظيمة لابد من مواجهتها و الانتصار عليها أو على الأقل عدم الاستسلام لها و رفع شعار التحدي في مواجهتها ،وهو ما دفع الأدب إلى تمثل هذا الصراع الإنسان /الطبيعة بغية التأكيد على فكرة أن الطبيعة قد تهزم الإنسان لكنه لا يستسلم ،وهذا ما نجده

1- سعيدة بوقدوح و نورة بيرة بحث مقدم لنيل شهادة اليسانس ص 37 .

في رواية حنا مينة "الشراع و العاصفة" في الأدب العربي إذ تتجسد هذه الفكرة أيضا عند أديب الغرب همنغواي " العجوز و البحر " .كما نجد أن الأدبين يجتمعان في احتضانهما للأسطورة بشكل مكثف في الروايات ،فكانت اللبنة الأولى لفنون أدب البحر نثرا و شعرا إذ حاولت المزج بين الخيال و الواقع ، " ضرورة لتفسير مظاهر الطبيعة الجبارة الخارقة"[1] ، وهذا التوظيف للأسطورة جاء كتيمة جمالية تقدمها الأسطورة للرواية ،وكانت نوع من التنوعات و المزج في البنية السردية للرواية .

كما نجد أن التشابه بين هذين الأدبين يظهر على مستوى المتن الروائي ،فكلا الروائيين في الأدبين يعتبرون البحر منبعا للاسترزاق و يمثل البحر لكليهما عالما جميل مليئ بالمعجزات،إن معظم الروائيين يستمدون أفكارهم من التأمل و الغوص في جمال البحر ،ويعتبرونه ملاذهم الأمثل الذي يفرون إليه كلما أحسوا بنوع من الضيق و الاضطراب ،و في المقابل نجد أن البحر عند الروائي سواء العربي أو الغربي له الجانب المعاكس لحالة الهدوء حيث يكون رمزا للخديعة الاضطراب ،فهو كائن جبار يستولي على كل ما يسري على سطحه دون شفقة أو رحمة.

وفي النهاية لا بد أن نشير إلى التواصل بين الماضي و المستقبل الموجود في الرواية عربية أو غربية ،و في هذا دعوة من الروائي إلى ضرورة توطئة العلاقة بين الماضي و المستقبل،إذ لا يكون لنا مستقبل زاهر إذ ما همشنا الماضي، هذا الأخير هو القاعدة و الركيزة التي نبني عليها المستقبل.

1- أحمد محمد عطية – مقدمة أدب البحر – ص 1

الفصل الثاني "تجليات موضوع البحر في رواية السفينة لجبرا ابراهيم جبرا "

1/ الروائـــــي في سطـــــور

2/ قراءة في مضمون الروايـــة

3/ دراسة سيميائية للعنـــــوان

4/ مضمـــــــــــون النـــص :

* الشخصـــيـــــــــــات

* الفضاء : المكاني + الزماني

* الأحـــــــــــــداث

1/ الروائي في سطور:

جبرا إبراهيم جبرا فلسطيني الجنسية في الأصل فالكثير من المصادر الفلسطينية تجمع على مولده في بيت لحم يوم 1920/08/28م. درس في مدرسة السريان في بيت لحم أثناء المرحلة الابتدائية بعدها درس في بيت لحم الوطنية ثم المدرسة الرشيدية في القدس " التي أتاحت له التعرف على الأساتذة الكبار من أمثال إبراهيم طوقان ،اسحاق موسى الحسيني أبى سلمى(عبد الكريم الكرمي) و محمد خورشيدا العدناني" [1] ليقوم بعدها بالانتقال إلى الكلية العربية في القدس،أين أتقن اللغة العربية و كذا الانجليزية،و لغة ثالثة هي لغة السريان و هي الطائفة التي تنتمي إليها عائلته سافر إلى مصر التي عبر منها إلى بحرا إلى بريطانيا ليلتحق بجامعة كامبريدج أين حصل على شهادة ماجستير في النقد الأدبي عام 1948 لقد صرح احمد دحبور أن وصوله إلى جامعة كامبريدج كان أدبيا لأنه كتب القصة القصيرة بفلسطين،و نشر بعض أعماله في مجالات عديدة " الرسالة" و " الهلال "بمصر ." الأماني " بلبنان ،وفي تلك الفترة كتب رواية رائعة باللغة الانجليزية بعنوان " passege in the silent night" التي وزع نسخها على زملائه بجامعة كامبريدج.لكن لم يقم بكتابتها إلا لما درس بجامعة هارفاد حيث كتبها أول مرة باللغة العربية سنة 1955 و اسماها بعنوانها الشهير " صراخ في ليل طويل"

بعد هذا التنقل في الجامعات .انتقل إلى العراق ليدرس الأدب الانجليزي " هناك تعرف على الآنسة لميعة برقي العسكري التي شكلت انعطافا في مسار حياته ،فقد تزوجا و أنجبا ولدين هما سدير و ياسر ،وحمل جبرا الجنسية العراقية التي ما كان لها أن تفصله عن جنسيته الفلسطينية التي حافظ على لهجتها "[2]

كان لجبرا دور كبير في الحياة الثقافية للعراق إذ أنشأ مع الفنان جواد سليم "جماعة بغداد للفن الحديث " عام 1951 و كتب مقدمة مجموعة "أغاني المدينة الميتة" للشاعر بلند الحيدري ،ولقد نشأت علاقة وطيدة بينه و بين بدر شاكر السياب . هذا الأخير قرأ كتاب "الغصن الذهبي" لجيمس فريزر الذي كان السبب في اقتناع السياب بالمدرسة

1- أحمد حجور .منبر الثقافة و الفكر و الأدب " الأربعاء 3 آذار (مارس) "ص20

2- م . ن . ص20

التموزية في الشعر .لقد نال جبرا العديد من الجوائز :دولية و عربية ونقلت أعماله إلى العديد من اللغات منها : الفرنسية الاسبانية، الايطالية،السلوفاكية،الانجليزية وحتى الصربية...الخ .صدرت له العديد من الأعمال الإبداعية ففي القصة و الرواية تطالعنا العناوين التالية : " عرق "وهي مجموعة قصصية كانت الوحيدة في أعماله ،أما الروايات هي :" صراخ في ليل طويل" ،" صيادون في شارع ضيق"،" السفينة" ،" البحث عن وليد مسعود" ، " الغرف الأخرى" ،" يوميات سراب عفان" ،أما رواية " عالم بلا خرائط " فكانت باشتراك مع د. عبد الرحمان منيف.

كان جبرا إبراهيم جبرا رساما و مصورا ففي السنوات الأخيرة من عمره اهتم بالرسم و التصوير خاصة على المستوى النظري . من مثل الكتاب الذي أصدره عام 1961بالانجليزية "الفن في العراق اليوم" وفي عام 1974 أصدر بالعربية كتابه" جواد سليم و نصب الحرية " الذي لقي رواجا كبيرا ،ليعود فيكتب كتابا بالانجليزية في 1983 هو " جذور الفن العراقي" الذي نشره بالعربية في 1985 وكتب كذلك في نفس السنة " الفن العلم الفعل "

لقد كان جبرا إبراهيم جبرا شاعرا أيضا إذ صدرت له ثلاث مجموعات شعرية جمعها كلها في ديوان واحد عام 1990 .وقد أضاف لهذه المجموعات مجموعة أخرى ليصبح عددها أربعة مجموعات شعرية هي كالتالي :تموز في المدينة 1959 ،المدار المغلف 1964 ، لوعة الشمس 1979، سبع قصائد 1990

أما في السيرة الذاتية فقد كتب كتابين هما " البئر الأولى " و " شارع الأميرات "لقد تعامل هذا الكاتب الموسوعي مع العديد من الأجناس الفنية و الأدبية حيث أبدع في السيناريو و السينمائي : مصدرا كتابين " الملك الشمس " " أيام العقاب" ومن المعروف انه كتب حوار فيلم " عمر المختار" الذي أخرجه مصطفى العقاد .

كتب كذلك في مجال النقد الأدبي إذ أصدر :" الحرية و الطوفان "1960 " الرحلة الثامنة " 1967 " و ينابيع الرؤيا" 1979 " تمجيد الحياة " 1989، و تأملات " في بنيات مرمرى"1989 ،" النمرة " 1991 هذه كانت مجمل إبداعات جبرا إبراهيم جبرا التي شكلت زخم ثقافي ضخم أثرى المكتبة العربية ،إذ تركها هذا الكاتب الفذ لنا بعدما عانى من طنين حاد في الأذنيين ،و مرض أقعده الفراش .إلى أن أغمض عينيه في 1994/12/11

2/قراءة في مضمـــــــون الرواية:

الرواية تتحدث عن مجموعة من الناس مختلفي الجنسيات إتخذوا من السفينة اليونانية وسيلة لسفرهم وهذا لكثرة توقفها في الجزر الأوروبية فهي سفينة سياحية بالدرجة الأولى.وتبدأ الرواية بوصف عصام السلمان عشقه للبحر . ومدى سحر البحر ،ثم يسترسل في الحديث عن كيفية لقائه و تعرفه بالشخصيات الأخرى للرواية .إذ تعرف في البداية بأميليا الفتاة الايطالية الجميلة و هي في الثلاثين من عمرها .وعبرها تعرف عصام السلمان بالتاجر الفلسطيني وديع عساف و هو الشخصية المحورية المؤثرة في الأحداث إن هذه الشخصيات الثلاث هي شخصيات هاربة من العالم الواقعي خوفا من المواجهة .حيث ترى في البحر خلاصها و ملاذها الأمثل وفي هذه السفينة تفاجأ عصام السلمان بلمى حبيبته السابقة رفقة زوجها الدكتور فالح.

" وجدت أن القمرة التي تجاور قمرتي يترل فيها .نعم الدكتور فالح حسيب و عقيلته.لقد رأيتهما يدخلان و أنا أخرج بل إنهما و قفا في الباب :

" عصام ؟ أي و الله عصام!"

هتف الدكتور فالح...و أكمل :" لمى .شوفي ! عصام السلمان !

-لمى (بلهجة مسرحية) من ؟ عصام؟

- أنا (بلهجة مسرحية أيضا) : شلون صدفة ! مرحبا دكتور .مرحبا لمى"

- شلون حظ !مصادفات سريعة

الدكتور :ها إن شاء الله إلى إيطاليا ؟

" أنا " لا و الله ابعد إلى لندن

لمى: شلون صدفة! ستجدنا في لندن أيضا .

وضحكا و ضحكت ،ومشيت ،و سببت ، و لعنت"[1] وعلى متن السفينة كذلك هناك مسافر من العراق سياسي اسمه محمود له نوبات عصبية بسبب مخاوفه السياسية .كذلك رجل فرنسي أصر على اصطحاب جثمان زوجته في تابوتها في هذه السفينة لأنه شعر بأنه لابد أن تسافر معه بحرا كما تعودا على السفر بحرا في حياتها ...وهكذا تتعرف الشخصيات على بعضها البعض. و تتطور الأحداث تطورا منطقيا يكسبها الكثير من التشويق و الترقب ،ولا تخلو الأحداث من عنصر المفاجأة الذي زاد من روعة الرواية ،وبعد ستة أيام أو سبعة أيام من السفر بحرا و توقف في الجزر السياحية لتمتع بها و قبل انتهاء الرحلة يفاجئ الركاب بفاجعة انتحار الدكتور فالح بعد أن اكتشف خيانة زوجته له مع عصام السلمان ولقد كانت حادثة الانتحار هذه الثانية في هذه الرحلة ،حيث انتحر رجل في بداية الرحلة برمي نفسه في البحر،بعدها تعود لمى إلى العراق لكي تنقل جثة زوجها إلى وطنه ويرافقها عصام ،الذي فشل في الهروب من وطنه ،ليكتشف أن وطنه حقيقة لا مفر منها .أما وديع عساف فواصل رحلته ليظل حلم العودة إلى فلسطين للاستقرار قائما لم يتحقق بعد.

1- سفينة " جبرا ابراهيم جبرا" ص 8-9

3/ سيمياء العنـــــــــــــــــوان :

إن البحث في العنوان يعد مدخلا هاما وعتبة حقيقة تقودنا إلى غياهب النص ،من اجل فك الكثير من دلالاته وطلاسمه وغموضه ،إلا انه قد يؤدي دورا تمويهيا إذ يجعل القارئ في حيرة من أمره فيربكه ويخلق له تشويشا قهريا ،فقد يقوده إلى متاهة حقيقية لا مفر منها سوى العودة إلى النص ذاته .انه البداية الكتابية التي تظهر على الواجهة كإعلان إشهاري ومحفز للقراءة وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النص ،وتسميه وتميزه عن غيره ،وهو كذلك "من العناصر المجاورة والمحيطة بالنص الرئيس إلى جانب الحواشي والهوامش والمقدمات والمقتبسات والأدلة الأيقونية "[1] .إن العنوان هو المفتاح الذي نستطيع به الدخول إلى النص ،و هذا ما نلاحظه في روايتنا " السفينة " ، إن أول ما نستنتجه من هذا العنوان أن هذه الرواية تندرج ضمن أدب البحر " إذ تتخذ هذه الرواية من السفينة مكانا لتدور عليه أحداث الرواية . و يحتم وجود السفينة طبعا وجود البحر الذي كان له أبلغ الأثر على شخصيات الرواية"[2].

إن عنوان روايتنا جاء في صيغة اسم ذو دلالة مباشرة على البحر كما أسلفنا ذكره ، فالعنوان جاء مشحون بدلالة رمزية على قوة الإنسان و صموده ، لأن السفينة بطبيعة الحال تحيلنا إلى صاحبها و هو الإنسان و كأن جبرا إبراهيم جبرا يريد أن يقربنا من فكرته التي تقول بأن الإنسان لا يمكن قهره.

1- جميل حمداوي " صور العنوان في الرواية العربية - www.arabika-adwah/articlese

2- جريدة العرب الدولية " المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا " 1422 ه المرافق ل 17 يوليو 2001 العدد 8237

4- مضمون النص

أ-دراسة الشخصـــــــــــــــــيات :

في هذه الرواية تطالعنا العديد من الشخصيات المختلفة من حيث الانتماء سواء كان إيديولوجي أو جغرافي ، و هذه الشخصيات الكثيرة الهاربة إلى البحر باعتباره ملاذهم الأمثل و السحر الذي يساعد على تقوية العلاقات بينهم بشكل تتلاشى في الحواجز المختلفة فما من علاقة تحدث فوق السفينة إلا و كان البحر شاهدا عليها فالبحر كان دائما محور حديث شخصيات هذه الرواية"بل إن البحر يشكل رؤية شمولية للحياة فهو باعث الفكر و التأمل و جامع شمل المحبيين و الهاربين الحالمين المتمردين" ".[1]

و من بين أهم شخصيات هذه الرواية نجد عصام السلمان هذه الهارب من وطنه بسبب حبه الفاشل للمى ، ومن جريمة الثأر القديمة التي اقترفها أبوه في حق عم لمى ، فعصام الذي ترك الثورة العراقية وراءه لاجئا إلى البحر لعله ينسيه لمى التي تفاجأ بوجدها بوجودها على ظهر السفينة ،أين اشتعل حبه لها من جديد ، و على ظهر السفينة تعرف على أميليا الإيطالية وهي فتاة في 30 من عمرها .هذه الأخيرة تصمم دائما على أنها ليست هاربة ، لكن عصام دائما يظن أنها هي أيضا هاربة مثله جمعته بها علاقة عابرة سرعان ماتلاشت لما استعاد لمى . و يشكل عصام السلمان الحلقة التي جمعت بين الشخصيات الموجودة على سطح السفينة.

إن البحر بالنسبة لعصام جسر الخلاص فقد ابتدأ جبرا إبراهيم جبرا هذه الرواية بكلمات عصام السلمان المعبرة عن مدى تعلقه بالبحر إذ يقول: "البحر جسر الخلاص ، البحر الطري الناعم الأشيب العطوف وقد عاد البحر اليوم إلى العنفوان ، لطم موجة إيقاع عنيف للعصارة التي تقذف في وجه السماء بالزهر والشفاه العريضة والأذرع الممتدة كالشراك اللذيذة ، البحر خلاص جديد إلى الغرب إلى جزر العقيق إلى الشاطئ الذي انبثقت عليه ربة الحب من زبد

1- أحمد محمد عطية " أدب البحر "ص155

البحر ونفث النسيم ....."[1]كما تظهر أيضا شخصية محورية مؤثرة في الرواية هي وديع عساف وهو فلسطيني الأصل توسعت تجارته وحقق أرباحا كثيرة لكن هذا لم ينسه انتماءه الوطني حيث ظل يتمنى العودة لوطنه ليموت هناك.

إن وديع عساف من الشخصيات التي تمتلك كما ثقافيا هائلا حتى انك تعتقد في البداية أنه يناقض نفسه ، وهذا ما يجتذب إليه باقي الشخصيات فعصام تعلق به إلى درجة كبيرة حتى أحس أنه يسيطر نوعا ما على شخصيته إذ أصبح أشد المعجبين بكلامه .

وتحدث وديع عساف لعصام عن أسفاره إلى أوربا بالبحر ،فالبحر بالنسبة له ممكن قوة و سلطة إذ يعتبر الرجل الذي انتحر في رحلتهم فصل الخلاص بالأمواج إذ لما سألته لمى أين يهرب ؟رد " إلى الأمواج" ،فهو يرى أن البحر الأبيض المتوسط يفرض على سكانه التشبث بالحياة،لذلك هم أقل الشعوب انتحارا .فوديع عساف " المتمرد الهارب بجرحه الفلسطيني من دنيا الكذب التي كونت المأساة الفلسطينية،الذي ينطلق في كل رؤاه و أحاديثه من جرحه الفلسطيني و أرضه الفلسطينية المغتصبة"[2] . يقوم بصياغة نظريته التي هي نظرية عبثية في الأغلب للحياة ،فالبنسبة له الكل زائل سوى الأمواج لا مجازا بل فيزيائيا إذ يرى أن البحر هو بحر فلسطيني ،بل بحر يافا و حيفا ،وبحر هضاب القدس الغربية وقراها.هكذا كانت نظرة وديع عساف للبحر ،إذ كان من الشخصيات العاشقة للبحر المتمنعة بالرحلة البحرية للرواية.

وما نلحظ من هاتين الشخصيتين – عصام وديع- وهو أن جبرا إبراهيم جبرا أكسبها جزءا و لو ضئيل من شخصيته ،وهو نوع من الوفاء لوطنه الأم فلسطين ونوع من إرجاع الجميل لوطنه الثاني العراق .

أما فيما يخص باقي الشخصيات الديناميكية في الرواية فهناك ثلاث شخصيات يمكن أن ندرجها ضمن الشخصيات الرئيسية وهي اميليا و الدكتور فالح ،ولمى.

1- جبرا ابراهيم جبرا " السفينة" دار الادب للنشر و التوزيع بيروت لبنان،الطبعة الخامسة 2008 ص 52

2- أحمد محمد عطية – أدب البحر ص 157

اميليا هذه الفتاة الإيطالية التي كانت متزوجة من رجل عراقي ثم تطلقت منه تربطها علاقة مع وديع عساف ،إذ يعرفها منذ فترة طويلة قبل بداية الرحلة لأنها صديقة خطيبته جاكلين .وبينهما و بين الدكتور فالح علاقة حب تعود إلى ما قبل بداية الرحلة – أي أيام تواجدها بالعراق – فهي كانت تحبه في حين هو يرى فيها الخليلة وفقط.

وحتى و إن كانت أميليا قد نفت في العديد من المرات هروبها إلى البحر إلا أنه في النهاية يتضح هروبها إلى البحر لترمي همومها و تطلعاتها إليه .و يتبين لنا شدة تعلقها بالبحر لما تقول " الشمس رائعة و البحر رائع...الخ.

أما الدكتور فالح فهو من بين الشخصيات الناقمة على البحر فهو يكره الرحلة البحرية و يتطلع إلى نهايتها ،و هذا بسبب غيرته على زوجته التي يشك في وفائها ،و يرى أنها محور تطلع الجميع و محط إعجابهم .ففي حوار دار بينه و بين عصام يتبين لنا رؤيته التشاؤمية للبحر .يقول الدكتور "متى ستنتهي هذه السفرة...

– أتريد الحق،أنا لا أريدها أن تنتهي .

– أما أنا فلا أتحمل البحر كثيرا.

– فقلت في شيء من اللؤم:أتصاب بالدوار؟

– الدوار !أبدا .إنما أنا كلوستر و فوبيك لا أتحمل الانغلاق في السفينة أو غير السفينة.

– وهذا البحر كله؟

– وأنتم كلكم حولي!"[1]

إن هذه السفينة الغير سوية بالنسبة للدكتور فالح هي التي دفعته إلى الانتحار في النهاية فهو ينظر إلى الحياة بتشاؤم إذ يقول أنها "دود على دود"

إن شدة كره فالح للبحر هو الذي دفعه إلى الانتحار بالحبوب بدل رمي نفسه في الأمواج عكس ما قام به الرجل الذي انتحر في بداية الرحلة.

1- جبرا ابراهيم جبرا " السفينة "ص 109-110

أما زوجته لمى ،و إن لم يكن لها حوار مونولوجي ،إلا أن شخصيتها تتضح من خلال تحدث الآخرين عنها فهي لم تكن من تلك النساء اللاتي يحببن الحديث إلى الرجال و إرسال الضحكات كنوع من الفتنة ،بل كانت تظل صامت إلى يوجه إليها السؤال ، وهذا ليس بسبب زوجها الذي يرافقها في الرحلة .

إنما هذه هي شخصيتها ،وهذا لايعني أنها كانت ملتزمة أيام دراستها في لندن ،حيث كانت تحب الخروج و السهر وحتى و هي متزوجة لم تتوان في استعادت حبها القديم لعصام .أما بخصوص رؤيتها للبحر فلم يتبين حبها له أو حقدها عليه .

وما نخلص إليه في الأخير أن شخصيات هذه الرواية كثيرة ما تقطع أحاديثها لتتطرق إلى البحر و أمواجه و جماله أو أن يكون البحر محورا لأحاديثها ، فالبحر يطلق جميع طاقات و الأحلام و حتى المخاوف لدى شخصيات الرواية ويدفعهم إلى كشف خبايا نفوسهم و التصريح بهمومهم و تطلعاتهم ،فالبحر الدواء الذي يشفي الآلام وينسي الهموم و الذكريات المنبوذة .

ب/ الفضـــــــــــــــــــــــــــــاء :

إن المكان في هذه الرواية وهو البحر لم يأت بمعزل عن بقية العناصر الأخرى في الرواية ،إنما جاء مرتبطا بها لاسيما الشخصيات و الزمان .إذ نجد البحر اكتسب أهميته من خلال حركة الشخصيات فيه ،في حين الزمان في هذه الرواية جاء مرتبطا ملازما للفضاء – البحر هنا –وقد جعل جبرا إبراهيم جبرا من البحر أداة للتعبير عن مختلف مشكلات الإنسان المعاصر السياسية منها و الاجتماعية لدى جاءت الرواية مستعصية بالنسبة للقراءة العادية ،فهي تحتاج إلى قراءة تعمقية تفكيكية .من الأفكار التي تجول في خاطره فالبحر حاضر موجود في الثنايا الدقيقة للرواية في حوارها و اسلوها وما يوضح لنا مدى المكانة العظيمة التي يوليها جبرا إبراهيم جبرا للبحر كفضاء في روايته .إذ تطالعنا في الرواية العديد من اللوحات الرائعة للبحر أمواجه وكل ما يحيط بهذا الفضاء، من أسرار طيور النورس البيضاء،و القمر و النجوم و مياه البحر الفضية .ففوق مقدمة السفينة تجتمع الشخصيات لترقب السفينة وهي تشق الزرقاء ،فتفر الأسماك بغيت تقديم أفكار و رؤى حسية و ميتافيزيقية لعام البحر ولعل دافع جبرا إبراهيم جبرا لاتخاذ السفينة فضاء لروايته هو أن السفينة تشعرك جسديا بانسيابك خلال الزمان و المكان معا لأن البحر يوحي بالمغامرة،فالانزلاق في عرض البحر شبيه بانطلاق النفس في رحاب الفضاء أو الدخول إلى الجنة.

فعصام السلمان يرجع قوة التأثير واشتعال العواطف إلى البحر ،إذ تأكد من أن للبحر فعله المساعد في النواحي العاطفية ،فعلاقة الشخصيات تتحدد بمدى قربها وبعدها عن البحر ،فالبحر دنيا تتسع لتشمل هموم البشر وكان الهم الفلسطيني أقواها حضورا،ثم إن تأثير البحر كفضاء لا يقتصر على هذا وحسب ،بل يمتد إلى التحكم في الشخصيات ،هذه الأخيرة التي من بينها من تتقلب بتقلب واضطراب البحر كشخصية محمود مثلا ،هذا السياسي الهارب الذي أصيب بنوبة عصبية لحظة هياج البحر ،وذلك بسبب مخاوفه السياسية، وسرعان ماعاد إلى طبيعته حالما هدأ البحر .ونجد كذلك البحر فضاءا جيدا لبناء العلاقات السريعة ،كالتعرف السريع بين عصام و اميليا ،فعندما لم يستطع عصام النوم صعد إلى ظهر السفينة

وتعرف على الفتاة الإيطالية اميليا ،حيث دار بينهما حديث حول البحر وعشقه جاء كالأتي :

"نحن محظوظون ،قالتها بالإنجليزية ...

-فالبحر بين بيروت و الإسكندرية معروف بالاضطراب عادة؟أترى ما أهدأه؟

-قلت :نعم ،نحن محظوظون ؟

-أحب البحر ،أتحب البحر؟

-نعم .أحب البحر

-ولكن ما هذه إلا سفرتي الثانية بحرا.

-إلى الإسكندرية ؟

- إلى جنوى .وأنت ؟

-إلى مرسيليا ،ثم باريس ،فلندن

-أنت محظوظ

-فقلت:أعذريني إن سألتك :ألم تستطيعي النوم ؟

-فضحكت .إني أعشق صوت الموج "[1]

وفي خلاصة الحديث إن المكان شغل حيزا كبيرا في الرواية.وأهمية في متن الرواية ،حتى إن جبرا إبراهيم جبرا جعل منه عنوانا لروايته .فاطلق عليها عنوان "السفينة " التي هي فضاء لأحداث هذه الرواية.

1- جبرا ابراهيم جبرا" السفينة "ص17

ج- الأحـــــــــــــــــــــــــداث:

-إن هذه الرواية تتميز بالحداثة الفنية إذ خلصها جبرا إبراهيم جبرا من عيوب الرواية القديمة التقليدية ،حيث يخفي الراوي التقليدي الثرثار ويستبدله ببعض شخصيات روايته إذ جاء عرض الأحداث على لسان هذه الشخصيات،وكان أقربها شخصية الفلسطيني وديع عساف ،إن جبرا إبراهيم جبرا في هذه الرواية اعتمد على التداعي عبر تيار الوعي لتشكيل موضوع الرواية ومعمارها الفني ،حيث تنساب عبرها الأحداث لتتداخل الأزمنة والأمكنة .إن الثقافة الواسعة والشاملة لجبرا إبراهيم جبرا مكنته من الجمع بين تيار الوعي وتبادل الشخصيات القص والحديث أضفى أضواء متعددة على الأحداث والشخصيات وادخار الكثير من المفاجآت التي تقفز إلى المتن الروائي .كحادثة وفاة الدكتور فالح بعد تحققه من خيانة زوجته له "كنت قد استلقيت على فراشي ولعلني كنت قد بدأت أغفو ،حيث اندفعت لمى من الباب ثانية وفي حلقها صرخة مختنقة قائلة:عصام تعال حالا !

-ماذا؟

-حالا أرجوك !

كان صوتها نشيجا ،تصورت أن فالح في انتظارها،وقد عرف كل شيء، فنهضت ولبست الروب بسرعة ولحقت بها إلى قمرتها كان الضوء باهرا يؤدي العين وعلى الفراش تحت الغطاء كان فالح ممددا مكشوف الذراعين ،مسجى كالمسيح الذي لم يتح لي أن أراه في يوم سابق ،عيناه مفتوحتان رهيبتان كرتان من زجاج ولونه من لون الشمع الأصفر ،ممتقعا بزرقة ،شفتاه مطبقتان عليهما ابتسامة مخيفة ،شامتة وأصابعه تمتد ثقيلة على الشرشف الذي يكسوه انهارت لمى ....وصاحت صيحة راعبة وهي تدفن وجهها بيديها :حسبته نائما! منذ منتصف الليل !"[1]

إن الأحداث في الرواية ترتبط ارتباطا وثيقا بالشخصيات فرغبة عصام السلمان في تمضية بضعة أيام في البحر ،هي السبب في تتابع الأحداث وتعقد العلاقات بين الشخصيات فنمت وتطورت تطورا فنيا مقنعا مبررا.كعلاقة عصام

1- جبرا ابراهيم جبرا" السفينة " ص 208

السلمان ولمى فبعد قطيعة وهجران إلتم شملهما مجددا على ظهر السفينة لإحياء علاقتهما القديمة ،إذ نمت هذه العلاقة وظهرت مجددا بعد مجموعة أحداث مهدت لها .ويخصص جبرا إبراهيم جبرا صفحات كثيرة للحديث عن هياج البحر وتأثيره في الأحداث التي تقع على السفينة ،ولعل أجمل الأحداث في الرواية تلك التي خصصها الروائي لتصوير أثر دوار البحر وهياجه في شخصيتي الحبيبين عصام ولمى ،عندما يقتحم قمرتها في السفينة فيقول:"يا للمهزلة ،لا تتاح الفرصة إلا وكلانا أشبه بخرقة مبلولة " [1] .و مع ذلك فإنه يهتف عندما يجدها مستلقيت على سريرها في منامتها " لو تعرفين ما أجملك " ليتأجل اللقاء إلى إن يهدأ البحر ،فيتحول البحر هنا إلى عدو بالنسبة لعصام بعدما كان رفيقا له .

هكذا جاءت الأحداث ترقص على الحان البحر فتارة تتسارع و تارة أخرى تتباطأ مستسلمة لهدوء البحر الذي كان هو المسيطر عليها ،فإما أن يكون البحر جزءا من الحادثة ،أو يكون ميدانا تقع عليه الأحداث ،ولهذا لا يمكن فصل الأحداث في رواية " السفينة" عن فضاءها وهو البحر .

خاتمة

صعب كان طريقنا إذ مررننا بالعديد من المعيقات و الصعوبات ،هذه الأخيرة التي تمثلت في صعوبة جمع المادة و كيفية تنسيقها لأنها تتطلب ثقافة واسعة،دون شك تنقصنا أنا و زميلاتي لكن بمساعدة الأستاذة " سعيدة بوقدح " التي تتوفر لها الثقافة اللازمة و الكافية لتبسيط الأمور فيغدو الصعب سهلا ،وفي خضم كل هذا هناك جانب رائع في البحث العلمي و هو المتعة الكبيرة في تخطي العقابات لتحقيق الهدف المنشود في النهاية.

ولن تكون هذه الخاتمة هي نهاية طريقنا في طلب العلم، حيث سنظل نتطلع إلى بحوث أخرى تكون أكثر فائدة و متعة ،ولقد توصلنا في بحثنا هذا إلى عدة نتائج و هي :

1-جاءت الرواية في إطار فلسفي مصطبغ بالعديد من النظريات الفلسفية إذ جاءت على لسان وديع عساف المتمرد على الواقع وهذا أمر طبيعي لأن جبرا إبراهيم جبرا من رواد التيار الواعي

2- إن استعانت جبرا إبراهيم جبرا بالبحر لإبراز و توضيح نظرته للحياة يرجع لكون البحر هو الذي يضم مختلف التناقضات بحيث تنصهر فيه تلقائيا،لأن البحر أنسب عنصر طبيعي لتوضيح الرؤية بطبيعة الحياة الإنسانية .

3- إننا في الوقت الحالي في حاجة إلى أدب يخاطب نفوسنا من خلال نقل الواقع كما هو .

4- أدب جبرا إبراهيم جبرا هو انعكاس لنظرته الفلسفية للحياة.

5- إن " السفينة" هي تفسير للحياة و جس لنبضها حيث تفحص الآلام و الجراح التي يعاني منها الإنسان العربي في كل الأقطار العربية وهذا لاقتراح الحل الجدري لهاته المشاكل.

6- البيئة البحرية هي أنسب الافضية الخصبة لتكوين الروايات التي تهتم بالجوانب الإنسانية و الشعورية و أخيرا نتمنى إصابتنا الأهداف المرجوة من بحثنا المتواضع ،فإذا أصبنا فمن عند الله ،وإن أخطئنا فسهو منا .

و الله الموفق

واقع الصادرات والواردات

1- المصادر

1-جبرا إبراهيم جبرا "السفينة "دار الآداب للنشر والتوزيع –بيروت –لبنان،الطبعة 5 ،2008

2- المراجع

1-باديس فوغالي "الزمان والمكان في الشعر الجاهلي"عالم الكتب الحديث-الطبعة1- 1429-2008

2-هيثم السرحان "الأنظمة السميائية "دار الكتاب الجديد المتحدة .الطبعة1 -2008

3-حنان محمد موسى حمودة "الزمكانية في الشعر المعاصر "دار الكتاب العالمي (عمان- الأردن)،عالم الكتاب الحديث (اربد- الأردن)الطبعة 1-2006

4-سعيدة بوقدح ،نورة بيرة ("موضوعة البحر "بين "الشيخ والبحر "و "الشراع والعاصفة") بحث مقدم لنيل شهادة ليسانس 2000-2001 جامعة باجي مختار –عنابة

5-احمد محمد عطية "أدب البحر"دار المعارف –مكتبة الدراسات الأدبية 1997

6-مولاي بلحميسي "البحر والعرب في التاريخ والأدب "منشوراتanep،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،وحدة الرغاية -2005

7-سعاد جبر سعاد، سيكولوجية الأدب ،الماهية والاتجاهات ،عالم الكتب الحديث ،جدار الكتاب العالمي ،طبعة 2008

.

3- مجلات و مواقع

1-موقع المدينة المنورة الأدبي الثقافي

2-مجلة افق الثقافية ،1تشرين الأول -2003/ http.www.ofouq.com

3-منبر الثقافة والفكر والآداب –الأربعاء 3 آذار (مارس)2011

4- جميل حمداوي "صورة العنوان في الرواية العربية "/www.arbikat-adwah

5-جريدة العرب الدولية "المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا"1422 الموافق 17 يوليو 2001 العدد8237

الفهـــرس

- **مـقـدمـــــة** - 01 -
- **مدخـــــــل** - 03 -

- الفصل الأول : أدب البحر - 06 -

- أدب البحر عند الغرب - 06 -

- أدب البحر عند العرب -09-

- أوجه التشابه بين الأدبين الغربي والعربي " موضوع البحر " - 19 –

- الفصل الثـــــاني : تجليات موضوع البحر في رواية السفينة لجبرا ابراهيم جبرا -21 -

1- الروائي في سطور - 21 -

2- قراءة في مضمون الرواية - 24 -

3- دراسة سيميائية للعنوان. - 26 -

4- مضمون النص: - 27 -

* الشخصيات - 27 -

* الفضاء : المكاني + الزماني. - 31 -

* الأحـــداث. - 35 -

ـ الخـاتـمـــــة - 35 -III